

دلالات أسماء الجبل في القرآن الكريم

The connotations of mountain names in the Quran

رفيقة بن ميسية

Rafika BENMICIA

جامعة قسنطينة 1 الإخوة منتوري (الجزائر)، rafika.benmicia@umc.edu.dz

تاريخ النشر: 2026/05/31

تاريخ القبول: 2026/05/11

تاريخ الاستلام: 2024/12/12

الملخص: الجبال في القرآن الكريم منظومة كونية لها خصوصياتها الجغرافية والطبيعية والجيولوجية، مما جعلها تمثل حجر الزاوية في الدراسات العلمية والإنسانية في العصر الحديث على حد سواء، وقد عني هذا البحث بدراسة طريقة تواردها في القرآن الكريم، إذ وردت في مواطن من الآيات القرآنية بأسماء مباشرة، وفي مواطن أخرى بأسماء مرادفة لها، وفي مواطن كثيرة بذكر صفاتها دون ذكرها، مما أدى إلى اختلاف المفسرين واللغويين حول تحديد دلالاتها، وبيان سر تواردها بهذه الأنماط المختلفة وما هذه الدراسة إلا محاولة بسيطة لاستجلاء بعض مظاهر الإعجاز في هذه الظاهرة التي تستحق فعلا التمعن والتدبر والتفكير في مضامينها، والمزيد من الدراسات اللغوية حولها.

كلمات مفتاحية: الجبال، مرادفات أسماء الجبل، دلالات أسماء الجبل، القرآن الكريم.

Abstract

The mountains in the Holy Qur'an are a cosmic system with geographical, natural and geological peculiarities, which made them the cornerstone of scientific and human studies in modern times, and this research has resulted in the study of the method of its telepathic in the Qur'an, which was received in the areas of Alaya The Qur'an has direct names, and in other areas with synonymous names, and in many areas by mentioning their qualities without mentioning their names, which led interpreters and linguists to disagree about the definition of their connotations, and the secret of the coincidence of these different styles. This study is a simple attempt to clarify some aspects of the defects in this phenomenon, which really deserves to be studied and thought about its contents, and more language studies about it.

Keywords: Mountains, synonyms of the names of the mountain, semantics of the names of the mountain, the Qur'an.

المؤلف المرسل: رفيقة بن ميسية، الإيميل: rafika.benmicia@umc.edu.dz

1. مقدمة:

الجبال خلق عظيم، ولعظم شأنها حثَّ القرآن العظيم على التدبّر والتفكّر فيها، يقول عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: 17-20]، وقد ورد ذكرها في القرآن العظيم بأشكال مختلفة وأنماط متنوعة، كلّها تحمل دلالات وإبحاءات خاصّة، إذ وردت بأسمائها في مواطن، وبأسماء مرادفة في مواطن أخرى، كما عوملت معاملة العاقل في مواطن وغير العاقل في مواطن أخرى، ووردت بصيغة الجمع في سياقات معيّنة وبصيغة المفرد في سياقات أخرى. وانطلاقاً من هذا الطرح فإنّ إشكاليّة هذا البحث ستنحصر حول التساؤلات الآتية:

- ما هي أسماء الجبل في القرآن الكريم؟
- ما مرادفات الجبل في القرآن الكريم؟
- ما هي دلالات أسماء الجبل في القرآن الكريم؟

2. مفهوم الجبل لغة واصطلاحاً

1.1. لغة:

وردت كلمة جبل في مفهومها اللّغويّ بمعنى: اسمٌ لكلِّ وَتَدٍ مِنْ أَوْتَادِ الْأَرْضِ، إذا عَظُمَ وطالَ من الأعلام والأطوادِ والشّناخِبِ، والجَمْعُ أَجْبُلٌ وَأَجْبَالٌ وَجِبَالٌ، وتُستعارُ كلمةُ الجبلِ للدّلالةِ على المَجْدِ والشّرفِ لسموّها وعُلوّها. (ابن منظور، 1981، صفحة 537)

2.2. اصطلاحاً

يقصد بالجبل في المفهوم الجغرافي والجيولوجي المرتفع الذي يبرز فوق سطح الأرض لبعض مئات أو آلاف من الأمتار وتكون له جوانب شديدة الانحدار، (شرف، د ت ، صفحة 402) كما يعرف أيضاً بأنّه المرتفع من الأرض الذي يزيد ارتفاعه عن ألف متر وتكون مساحة قمّته أقلّ من مساحة قاعدته. (مسلم، 1996، صفحة 202)

ويعرّف في قاموس أكسفورد الإنجليزي أنّه عبارة عن ارتفاع طبيعي عن سطح الأرض، يرتفع أكثر أو أقلّ من سطح البحر ليحقّق مستوى ارتفاع نسبي عن الارتفاعات المجاورة له.

والملاحظ على هذه التعاريف أنّها تحصر تعريف الجبل في الشّكل الخارجيّ له، حيث تربط بين ارتفاعه عن سطح الأرض وبين وجوده فوق اليابسة، وهو تعريف أعيد النّظر فيه في النّصف الأخير من القرن التّاسع عشر حيث ثبت أنّه يزيد على الارتفاع الظّاهر بعدّة مرّات، وأصبح على وجه القطع أنّ له جذوراً مغروسة في

الأعماق، يمكن أن تصل إلى ما يعادل خمس عشرة مرة (15) من ارتفاعه فوق سطح الأرض. (المصلح و الصاوي، 2008، الصفحات 188-189)

ويستخلص ممّا سبق ذكره أنّ معايير تسمية الجبل كمفهوم جغرافيّ جيولوجيّ تتجلى في الارتفاع والحجم والكثافة ووجوده فوق اليابسة، وامتداده تحت سطح الأرض، وهي معايير تختلف عن معايير بقيّة الارتفاعات المجاورة له.

3. أسماء الجبل في القرآن الكريم

وردت أسماء الجبل في القرآن العظيم على أنماط مختلفة، إذ وردت في مواطن من الآيات بتسمية مباشرة، أي بلفظ الجبل بصيغتي المفرد والجمع، ووردت في مواطن أخرى بأسماء أخرى مرادفة لها، وفيما يلي توضيح لذلك:

1.3. أسماء الجبل التي ذكرت ذكراً صريحاً

ذكرت أسماء الجبل في القرآن الكريم ذكراً صريحاً، أي بتسمية لفظ الجبل بنمطين مختلفين؛ تمثل النمط الأول في ذكرها بصيغة المفرد، وتمثل النمط الثاني في ذكرها بصيغة جمع التّكسير، وفيما يلي توضيح لذلك:

1.1.3. أسماء الجبل بصيغة المفرد:

ذكرت أسماء الجبل في القرآن الكريم وروداً صريحاً بصيغة المفرد بحسب الدّراسة الإحصائيّة ستّ مرات.

2.1.3. اسم الجبل بصيغة جمع التّكسير:

ذكر اسم الجبل في القرآن الكريم بلفظه، أي وروداً صريحاً بصيغة جمع التّكسير ثلاث وثلاثون مرة.

2.2. أسماء الجبل بأسماء مرادفة له

وردت أسماء الجبل بصورة غير مباشرة في القرآن العظيم، أي بأسماء مرادفة له في كثير من المواطن، وفيما يلي توضيح لبعضها:

1.2.3. الجوديّ

ورد اسم " الجوديّ " المرادف لاسم الجبل في القرآن الكريم في موطن واحد من الآيات الكريمة.

2.2.3. الرّواسي

وردت كلمة " الرّواسي " المرادفة لاسم الجبل في القرآن العظيم تسع مرات.

3.2.3. السّدّان

ورد اسم "السّدّين" في القرآن الكريم مرادفاً للجبل مرة واحدة في توجيه بعض المفسّرين.

4.2.3. الصَّعُودُ

ورد اسم " الصَّعُود " المرادف لاسم الجبل في القرآن الكريم في موطن واحد من الآيات الكريمة.

5.2.3. الصَّفا والمروة

ذكر جبلا "الصَّفا والمروة" في القرآن العظيم في موطن واحد من الآيات الكريمة.

6.2.3. الطَّوْدُ

ذكر اسم "الطَّوْد" المرادف لاسم الجبل في القرآن الكريم في موطن واحد من الآيات الكريمة.

7.2.3. الطُّورُ

ذكر لفظ "الطور" في القرآن العظيم في عشر آيات، وقد استعمل في مواطن مفردا، وفي مواطن أخرى مضافا، وفي مواطن أخرى مضافا إليه.

8.2.3. عَرَفَاتُ

ورد اسم الجبل "عرفات" في موطن واحد من آيات الله عزَّ وجلَّ.

4. دلالات أسماء الجبل في القرآن الكريم

1.4. دلالات أسماء الجبل التي وردت بأسماء صريحة

1.1.4. بعض دلالات أسماء الجبل الواردة بأسماء صريحة بصيغة المفرد

حملت أسماء الجبل في القرآن الكريم الواردة بصيغة المفرد دلالات إيحائية مخصوصة، منها:

أ/ الشَّهادة: كانت الجبال شاهدة مع إبراهيم عليه السَّلام كيف يحيي الله الموتى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُمْ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260] حيث أراد الله عزَّ وجلَّ أن يضع إبراهيم عليه السَّلام على كلِّ جبل جزءا من أعضاء الطَّيُور، حيث يرى أجزاءها كيف تلتئم بعد أن كانت متفرقة متبددة، وذلك بعد دعائه لها. (الطَّبري، 1994، الصفحات 148-149) (الأندلسي، 1993، صفحة 311)

ولم يخصَّ سبحانه وتعالى في هذا الموطن جبلا بعينه، وإنما ذكر الجبل على وجه العموم، يقول الطَّبري (ت 310هـ): «والكلَّ حرف يدلُّ على الإحاطة بما أضيف إليه، لفظه واحد ومعناه الجمع». (الطَّبري، 1994، صفحة 148)

ب/ الدَّكَّ: يقصد بالدَّكَّ في اللُّغة هدم الجبل والحائط ونحوهما، أو كسرها (ابن منظور، 1981، صفحة 1404) وهي دلالة مستنتجة من خلال قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف:

[143]، حيث أوحى دلالة التعبير بالمفرد على الجبل الذي ذك في الأرض حينما تجلّى الله له، يقول الطاهر بن عاشور: «وقرأ الجمهور دكاً بالتثنية، والدك مصدر وهو والدق مترادفان، وهو الهد وتفرق الأجزاء كقوله: "وتخرّ الجبال هدًا، وقد أخبر عن الجبل بأنه جعل دكاً للمبالغة، والمراد أنه مدكوك؛ أي مدقوق مهدوم، وقرأ الكسائي وحمة وخلف دكاً بمدّ بعد الكاف وتشديد الكاف والدكاء الناقة التي لا سنام لها، فهو تشبيهه بلبغ، أي كالدكاء، أي ذهبت قنته، والطاهر أن ذلك الذي اندك منه لم يرجع، ولعل آثار ذلك الدك ظاهرة فيه إلى الآن». (ابن عاشور، 1984، صفحة 93)

ج/ الخشوع والتصدع: وذلك في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَّاسٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]، إذ يوحي التعبير بالمفرد على عموم الجبل الذي يخشع ويتصدع من خشية الله تعالى، فالخشوع هو التطاطؤ والزكوع والخضوع، والتصدع هو التشقق والتفريق، (ابن منظور، 1981، صفحة 1165، 2414) والتعبير في هذا الموضع تعبير مجازي، إذ أراد عز وجل أن يجري مقارنة بين العاقل المعرض عن فهم القرآن العظيم، وبين غير العاقل الذي لو كان مكانه لاتعظ وتصدع من شدة تأثره بخشيته سبحانه وتعالى، يقول الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ): «فالجبل: مثال لأشدّ الأشياء صلابة وقلة تأثر بما يقرعه، وإنزال القرآن مستعار للخطاب به عبر عنه بالإنزال على طريقة التبعية تشبيها لشرف الشيء بعلو المكان ولإبلاغه للغير بإنزال الشيء من علو، والمعنى لو كان المخاطب بالقرآن جبلا، وكان الجبل يفهم الخطاب لتأثر بخطاب القرآن تأثرا ناشئا من خشية الله خشية تؤثرها فيه معاني القرآن، والمعنى لو كان الجبل في موضع هؤلاء الذين نسوا الله وأعرضوا عن فهم القرآن ولم يتعظوا بمواعظه لاتعظ الجبل وتصدع صخره وتربه من شدة تأثره بخشية الله. وضرب التصدع مثلا لشدة الانفعال والتأثر، لأن منتهى تأثر الأجسام الصلبة أن تتشقق وتتصدع، إذ لا يحصل ذلك لها بسهولة». (ابن عاشور، 1984، صفحة 116)

د/ التثنية:

يُنْتَقُ الْجَبَلُ فَوْقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَأْخُذُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ بِقُوَّةٍ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ نُنْتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف: 171]، والتثنية في اللغة جذب الشيء وزعزعته وقلعه من أصله. (ابن فارس، أ: 387)، وقد جاء بهذه الآية في سياق تخويف بني إسرائيل وتذكيرهم بضرورة الإيمان بما جاء به موسى عليه السلام وهو الأخذ بأحكام التوراة، يقول ابن الجوزي (ت 597هـ): «أي: واذكر لهم إذ ننقنا الجبل، أي رفعناه، قال مجاهد: أخرج الجبل من الأرض، ورفع فوقهم كالظلة، فليل لهم لتؤمنن أو ليقعن عليكم، وقال قتادة: نزلوا في أصل جبل، فرفع فوقهم، فقال لتأخذن أمري، أو لأرميكن به». (ابن الجوزي، 2002، صفحة 927)

هـ/ **العصم من الغرق:** وذلك في قصة نوح عليه السلام مع ابنه، حيث لم يؤمن به ولم يصدق بوقوع الطوفان، لذلك كان يعتقد أن الجبل سوف يعصمه من الغرق، وأن أرفع الجبال لا يبلغه الماء، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: 43]، يقول: الطبري (ت 310هـ): «يقول تعالى ذكره: قال ابن نوح، لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة خوفاً عليه من الغرق، "سأوي إلى جبل يعصمني من الماء" يقول سأصير إلى جبل أتحصن به من الماء فيمنعني منه أن يغرقني». (الطبري، 1994، صفحة 279)

2.1.4. بعض دلالات أسماء الجبل الواردة بأسماء صريحة بصيغة جمع التّكسير

استعمل القرآن العظيم اسم الجبل على صيغة جمع التّكسير في ثلاثة وثلاثين موطناً من الآيات القرآنية وجمع التّكسير هو ما دلّ على أكثر من اثنين وتغيّر بناء مفردة، إمّا بزيادة على أصول مفردة، نحو: (قَلْبٌ: قُلُوبٌ) و(قَلَمٌ: أَقْلَامٌ)، وإمّا بنقص عن أصول المفرد، نحو: (قِيَمَةٌ: قِيَمٌ)، وإمّا باختلاف الحركات مع الزيادة، نحو: (مَصَابِيحٌ: مَصَابِيحٌ)، وإمّا باختلاف الحركات مع النقصان، نحو: (رُسُولٌ: رُسُلٌ)، وإمّا باختلاف الحركات دون زيادة أو نقصان، نحو: (أَسَدٌ، أُسْدٌ). (راجي، 1997، صفحة 201)

يقسم جمع التّكسير إلى قسمين؛ جمع قلة، وجمع كثرة، فأما جمع القلة، فهو الذي يدلّ على عدد محدّد لا يقلّ عن ثلاثة ولا يزيد على عشرة، وأوزانه أربعة: أَفْعَلَةٌ، أَفْعُلٌ، فِعْلَةٌ، أَفْعَالٌ. (عبّاس، د ت، الصفحات 627-628)

أما جمع الكثرة، فهو الذي يدلّ على عدد يزيد على عشرة، وقيل هو ما يدلّ على عدد من ثلاثة إلى ما لا نهاية (راجي، 1997، صفحة 204) وصيغه كثيرة تزيد على الثلاثين صيغة (الحديثي، 1965، صفحة 294) (عبّاس، د ت، صفحة 926)

ويبدو من خلال الاستقراء والإحصاء أن اسم الجبل استعمل في القرآن الكريم على هيئة جمع التّكسير بصيغة واحدة، تجلّت في جمع الكثرة الوارد على وزن "فِعَالٌ"، ومن دلالات استعماله:

أ/ التّسبيح والامتثال لأوامر الله عزّ وجلّ:

لم يكن التّسبيح والامتثال لأوامر الله عزّ وجلّ أمراً مخصوصاً بالإنسان فقط، بل خصّه الله عزّ وجلّ لكلّ شيء حيوانات، نباتات، جمادات، وغيرها، وقد ورد ذلك في العديد من الآيات القرآنية، منها: قوله عزّ وجلّ: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ

خَلِيماً غَفُوراً﴾ [الإسراء: 44]

وقد كانت الجبال من الجمادات التي خصّت بهذا الأمر، حيث ذكر ذلك في عدة آيات من القرآن العظيم منها: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 79]، ففي هذه الآية الكريمة توضيح لانقياد الجبال وتسبيحها لله عزّ وجلّ، يقول صاحب الكشف: «يُسَبِّحْنَ حال بمعنى مسبّحات، أو استئناف، كأنّ قائلًا قال: كيف سخرهنّ؟»، قال: يُسَبِّحْنَ، والطَّيْرُ، إمّا معطوف على الجبال، أو مفعول معه، فإن قلت: لم قدّمت الجبال على الطَّيْرِ؟، قلت: لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب، وأدلّ على القدرة، وأدخل في الإعجاز؛ لأنّها جماد والطَّيْر حيوان، إلّا أنّه ناطق، روي أنّه كان يمرّ بالجبال مسبّحًا وهي تجاوبه، وقيل كانت تسير معه حيث سار، فإن قلت كيف تنطق الجبال وتسبح؟ قلت: بأن يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى، وجواب آخر: وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله، فلمّا حمّلت على التّسبيح وصفت به». (الزمخشري و جار الله، 2012، صفحة 118)

وفي قوله سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10] دليل آخر على الإعجاز الإلهي، حيث تسبح الجبال وهي خاضعة طائعة ممتثلة لأوامر الله عزّ وجلّ، فتفعل ما يفعله داود عليه السّلام، يقول البيضاوي (ت 791 هـ): «رجّعي معه التّسبيح أو النّوحة على الذّنب، وذلك إمّا بخلق صوت مثل صوته فيها، أو بحملها إياه على التّسبيح إذا تأمل ما فيها أو سيري معه حيث سار وقرئ أَوِّبِي من الأَوَّبِ، أي ارجّعي في التّسبيح كلّما رجع فيه، وهو بدل من "فضلا" أو من "آتينا" بإضمار قولنا أو قلنا». (البيضاوي، 2000، الصفحات 101-102)

و في قوله عزّ وجلّ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 18-19]، تُسَخَّر الجبال أيضا لوظيفة التّسبيح، غير أنّ التّسبيح في هذه الآية ارتبط بوقت معيّن وهو العُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، كما ارتبط أيضا بإحالة الضّمير في "كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ"، إذ يحتمل أن يعود الضّمير على الله عزّ وجلّ، ويحتمل أيضا أن يعود على داود عليه السّلام، وهو أمر أوضحه الرّجّاج (ت 311هـ) في قوله: «كانت الجبال ترجّع التّسبيح، وكانت الطّير كذلك، فيجوز أن تكون الهاء لله -جلّ وعزّ-، أي كلّ الله مسبح، الطّير والجبال وداود يسبحون لله عزّ وجلّ، ويرجعون التّسبيح، ويجوز - والله أعلم - أن يكون "كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ"، كلّ يرجّعن التّسبيح مع داود يُجِبْنَهُ، كلّما سبّح سبّحت الجبال والطّير معه». (الرّجّاج، 1988، صفحة 324)

واللّفت للنظر في هذه الآيات ملحظان؛ أولهما أنّ الجبال عوملت معاملة العقلاء الذين إذا أمرهم عزّ وجلّ بشيء ما انقادوا لأوامره وهو أمر يؤكّد خصوصيّة استعمال هذه الجبال في القرآن العظيم وثانيهما أنّ الجبال عوملت معاملة المؤنث، انطلاقا من الأفعال التي أسندت إليها (يُسَبِّحْنَ، أَوِّبِي) وذلك لأنّ جمع ما لا يعقل يجوز

فيه ذلك، يقول أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ): «فأمرُ الجبال كأمرِ الواحدةِ المؤنثة؛ لأنَّ جمع ما لا يعقل يجوز فيه ذلك، ومنه: "يا خيل الله اركبي"». (الأندلسي، 1993، صفحة 253)

ب/ السجود لله عز وجل:

لم يكن الإنسان وحده من أمر بالسجود للخالق عز وجل، بل أمرت المخلوقات كلها، سواء أكانت من في السموات من الملائكة، أم من في الأرض من المخلوقات كلها؛ وقد خصَّ الله عز وجل سجود الجبال في آية صريحة، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: 18]، ففي هذه الآية القرآنية إشارة إلى بيان عظمة الله عز وجل وانفراده بألوهيته بانقياد كل هذه العوالم له، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وسجود كل هذه العوالم ممَّا يختص به لا غير. (ابن كثير، 1999، صفحة 403)

ج/ موطن للسكن والراحة والاحتماء:

أشير في القرآن العظيم أنَّ للجبال فوائد عظيمة تعود بالفائدة والنفع على الإنسان والحيوان على حد سواء فهي بيوت للسكن والراحة والاحتماء من عوارض الطبيعة القاسية، ومن بين الآيات الدالة على هذا الأمر قوله عز وجل في قوم صالح عليه السلام وهم ثمود، حيث كانوا يبنون القصور وينحتون الجبال ليسكنوا فيها: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: 74]، حيث جاء في فتح القدير: «وتنحتون الجبال بيوتا: أي تتخذون في الجبال التي هي صخور بيوتا تسكنون فيها، وقد كانوا لقوتهم وصلابة أبدانهم ينحتون الجبال، فيتخذون فيها كهوفا يسكنون فيها؛ لأنَّ الأبنية والسقوف كانت تقنى قبل فناء أعمارهم، وانتصاب بيوتا على أنها حال مقدرة أو على أنها مفعول ثانٍ لتنحتون على تضمينه معنى تتخذون». (الشوكاني، 2007، الصفحات 483-484)

وجاء في التحرير والتؤييد: «والتَّحْتُ بَرْيُ الْحَجَرِ وَالْخَشَبِ بَالَةً عَلَى تَقْدِيرِ مَخْصُوص.... وَفِعْلُ النَّحْتِ يَتَعَلَّقُ بِالْجِبَالِ؛ لِأَنَّ النَّحْتَ يَتَعَلَّقُ بِحَجَارَةِ الْجِبَالِ، وَانْتَصَبَ "بُيُوتًا" عَلَى الْحَالِ مِنَ الْجِبَالِ، أَيْ صَائِرَةً بَعْدَ النَّحْتِ بُيُوتًا، كَمَا يَقَالُ خِطُّ هَذَا الثَّوبِ قَمِيصًا، وَابْرُ هَذِهِ الْقَصَبَةِ قَلَمًا؛ لِأَنَّ الْجِبَلَ لَا يَكُونُ حَالَهُ حَالِ الْبُيُوتِ وَقْتَ النَّحْتِ، وَلَكِنْ يَصِيرُ بُيُوتًا بَعْدَ النَّحْتِ، وَمَحَلُّ الْاِمْتِنَانِ هُوَ أَنْ جَعَلَ مَنَازِلَهُمْ قَسَمَيْنِ؛ قَسَمَ صَالِحٍ لِلْبِنَاءِ فِيهِ، وَقَسَمَ صَالِحٍ لِنَحْتِ الْبُيُوتِ، قِيلَ: كَانُوا يَسْكُنُونَ فِي الصَّيْفِ الْقُصُورَ، وَفِي الشِّتَاءِ الْبُيُوتَ الْمَنْحُوتَةَ فِي الْجِبَالِ.» (ابن عاشور، 1984، الصفحات 220-221)

وقد تكررَ هذا المعنى في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشَّعْرَاء: 149]، حيث إن ذكر نحت الجبال وجعلها بيوتاً لقوم صالح عليه السَّلام في هذه الآية هو استحضار لحالتهم الأولى التي ذكرت في سورة الأعراف، وهم قوم حذقون متمكنون من نحت البيوت من الجبال، (ابن عاشور، 1984، الصفحات 174-175) وقد قرئت صيغة "فارهيـن" على وجهين؛ أي بإثبات الألف وإسقاطها، فقرأها عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي بإثبات الألف، بمعنى حاذقين بنحتها متخيرين لمواضع نحتها كييسين، وقرأها ابن كثير وأبو عمرو ونافع بغير ألف، بمعنى مريحين أشربين بطرين، وقد يجوز أن يكون معنى قَارِهٍ وقَرِهٍ واحداً. (الطَّبْرِي، 1994، صفحة 525) (مجاهد، 1972، صفحة 472)

أما في قوله تعالى ﴿وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر: 82] فقد جعلت الجبال بمنزلة الحصون التي تأمنهم من عذاب الله عزَّ وجلَّ، وهو معنى أكَّده الطَّاهر بن عاشور في قوله: «و "من الجبال" تبغيض متعلِّق بـ "ينحتون"، والمعنى من صخر الجبال، لما دلَّ عليه فعل "ينحتون"، و"آمينين" حال من ضمير "ينحتون"، وهي حال مقدَّرة، أي مقدَّرين أن يكونوا آمينين عقب نحتها وسكناها، وكانت لهم بمنزلة الحصون لا ينالهم فيها العدو، ولكنهم نسوا أنها لا تأمنهم من عذاب الله، فلذلك قال: "فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون"». (ابن عاشور، 1984، الصفحات 72-74)

وبالتأمّل في هذه الآيات نجد أنّ لفظ الجبال استعمل على وجهين، أمّا الوجه الأوّل فقد استعمل دون سبقه بحرف الجرّ (من)، وأمّا الوجه الثّاني فقد استعمل مقترناً بحرف الجرّ "من" وفي هذا التّعبير فرق بين الاستعمالين، حيث إنّ "من" تفيد التّبغيض، وبذلك فإنّ اقتران الجبال بها يفيد دلالة بعض الجبال وليس الجبال كلّها، بينما عدم اقترانها بها يفيد دلالة العموم، أي نحت الجبال كلّها دون استثناء.

ويرى السّامرائي أنّ الفرق بين استعمال "تحتون الجبال" في سورة الأعراف و "تحتون من الجبال" في سورة الشّعراء، أنّ الاستعمال الأوّل مرتبط بالتوسّع في البناء وال عمران لذلك اختير التّعبير بـ "الجبال"، وكأنّهم ينحتون الجبال كلّها بيوتاً، أي يجعلونها بيوتاً، بينما الاستعمال الثّاني مرتبط بالزّراعة، أي أنّهم يتخذون منها بيوتاً، ولا يدلّ على التوسّع والكثرة في البناء، لذلك اختير التّعبير بـ "من الجبال" وكأنّهم يتخذون من بعض الجبال بيوتاً (السّامرائي، 2011 م، الصفحات 57-58).

إذا، فلمّا كان السّياق في الأعراف في عمران ذكر "تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا"، وكأنّها كلّ الجبال تُنحت بيوتاً، فتصير كثرة، ولمّا كان السّياق في الشّعراء في الزّراعة ذكر "وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ" وكأنّها بعض البيوت، فتصير أقلّ.

وفي قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ [النحل: 81]، جعلت الجبال أيضا وسيلة للوقاية من الحرّ والبرد وغير ذلك من عوارض الطبيعة القاسية، والأكنان جَمْعُ كِنٍّ: والكِنُّ وقاءٌ كُلُّ شَيْءٍ وَسْنَرُهُ، والكِنُّ البَيْتُ أيضا، والكِنُّ ما يَرُدُّ الحرَّ والبرْدَ من الأبنية والمسكن (ابن منظور، 1981، صفحة 3944) وهي هنا مواضع للسكن، وهي الغيران والكهوف والبيوت المنحوتة من الجبال جعلها الله سبحانه عُدَّةً للخلق يأوون إليها ويتحصنون بها. (الطبري، 1994، صفحة 545) (الأندلسي، 1993، صفحة 507)

وما يلفت النظر في هذه الآية والآيات السابقة التي جعلت الجبال موطنا للسكن والاحتماء، أنَّ الجبال قرنت في الآيات السابقة (الأعراف، الشعراء، الحجر) بالبيوت، في حين قرنت في هذه الآية (سورة النحل) بالأكنان، والسّرّ في ذلك والله اعلم أنَّ البيوت تخصص عادة للسكن والإقامة الطويلة، بينما الأكنان وهي المغارات والكهوف في الجبال فهي لا تصلح للسكن الصحي والإقامة الطويلة، بل لفترة مؤقتة، إضافة إلى أنَّ البيوت أشمل من الأكنان، لارتباط الأولى بالإقامة والاحتماء معا، وارتباط الثانية بالاحتماء أكثر من عوارض الطبيعة القاسية؛ كالحرّ والبرد والمطر وغيرها.

وقد عدّت الجبال أيضا بيوتا لحماية الحشرات، ومنها النحل، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: 68]، يقول ابن عطية (ت 541هـ) في محرّره: «وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة: إما في الجبال وكواها، وإما في متجوّف الأشجار، وإما فيما يعرّش ابن آدم من الأجباح والحيطان ونحوها». (ابن عطية، 541 هـ، صفحة 1104)

د/ لون الجبال:

من المعجزات الإلهية ذكر لون الجبال في القرآن الكريم، على الرّغم من عدم ملامسة ذلك في أرض الواقع، إذ يتبدّى لكلّ أنّ الجبال كلّها ذات لون واحد، غير أنّ الآية القرآنية تثبت فعليّا اختلاف لون الجبال، فهي مختلفة في بياضها، ومختلفة في حمرتها، وشديدة السّواد، يقول تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيبٌ سُودٌ﴾ [فاطر: 27]، يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره: « وَجُدَدٌ: جمع جُدَّة بضمّ الجيم وهي الطّريقة والخطة في الشّيء تكون واضحة فيه، يقال للخطة السّوداء التي على ظهر الحمار جُدَّة، وللطّبي جُدَّتَان مسكيتا اللّون تفصلان بين لوني ظهره وبطنه، والجُدّد الببيض التي في الجبال هي ما كانت صخورا ببيضاء مثل المروة، أو كانت تقرب من البياض، فإنّ من التّراب ما يصير في لون الأصهب، فيقال: تراب أبيض، ولا يعنون أنّه أبيض

كالجير والجَصّ، بل يعنون أنّه مخالف لغالب ألوان التّراب، والجُدُّ الحُمَر هي ذات الحجارة الحمراء في الجبال، وغرابيبُ: جمع غريب، والغريب: اسم للشّيء الأسود الحالك سواده ولا تعرف له مادّة مشتقّ هو منها، وأحسب أنّه مأخوذ من الجامد، وهو الغراب لشهرة الغراب بالسّود، وسود: جمع أسود وهو الذي لونه السّود، فالغريب يدلّ على أشدّ من معنى أسود...». (ابن عاشور، 1984، الصفحات 301-302)

ولألوان الجبال تفسير علمي، حيث يتساءل أصحاب الموسوعة الكونيّة الكبرى، عن مصدرها وكيفية حدوثها وسرّ اختلافها في قولهم: «ولكن ألوان الجبال من أين أتت وهي من صخور وتراب وليس فيها صبغيات تحدّد اللون؟ ... ولكن للماء علاقة بلون صخور الجبال، حيث يقوم المطر بحالة من التّفاعل الكيميائيّ، فتحدّد ألوان الجبال، وربّما تجعلها متغيّرة فتظهر الجبال بألوان مختلفة بحسب اختلاف معادنها، فالسّود والاحمرار يغلبان على خامات العناصر؛ مثل الحديد والنّحاس، وأمّا البياض فيغلب على خامات العناصر؛ مثل الألمنيوم، المغنيزيوم، والعجيب الذي تراه أنّ سلسلة واحدة من الجبال قد تجد فيها ألوانا متعدّدة، وربّما تجد في الجبل الواحد تعدّد الألوان، بحيث يغلب الله سبحانه نوعا من المعدن وسط جبل لونه أسود، فيظهر هذا الجزء بلون مغاير. ... فالجبال إمّا تكسوها الأشجار أو الجليد، فلا تظهر ألوانها، ومنها الصّخريّ الذي لا ينبت عليه زرع أو شجر، فتكون ألوانه واضحة ومتعدّدة وجميلة، وحالة الألوان هذه متعدّدة ومختلفة من مكان إلى مكان، فسبحان الذي لونها بلون واحد أو عدّة ألوان». (الصّوفي، 2007، الصفحات 79-80)

2.4. دلالات أسماء الجبل المرادفة له

وردت أسماء الجبل بصورة غير مباشرة في القرآن العظيم، أي بأسماء مرادفة له في كثير من المواطن، وفيما يلي توضيح لبعض دلالاتها:

1.2.4. الجوديّ

ورد اسم " الجودي " المرادف لاسم الجبل في القرآن الكريم في موطن واحد (01) من الآيات الكريمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ﴾ [هود: 44]، ففي هذه الآية يشير عزّ وجلّ إلى جبل الجوديّ، وهو الجبل الذي رست عليه سفينة نبيّ الله نوح عليه السّلام بعد انتهاء الطّوفان، وقد اختلفت آراء المفسّرين واللّغويين حول موقع جبل الجودي، وهي كما يلي:

- جبل بناحية أَمَدَ. (الزَّجَّاج، 1988، صفحة 55)

- اسم جبل بين الموصل والجزيرة، وهو في الأصل منسوب إلى الجُودِ، والجُودُ بذل المقتنيات مالا كان أو علما، ويقال: رجل جواد وفرس جواد يُجُودُ بمَدَّخَرٍ عَدُوِّهِ، والجمع: الجيَادُ.

- جبل بقرب الموصل، استوت عليه السَّفِينَةُ في العاشر من محرّم يوم عاشوراء، فصامه نوح وأمر كلّ من معه بصومه، شكرا لله تعالى، وهو من جبال الجَنَّةِ، فلهذا استوت عليه، ويقال أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر: الجوديّ بنوح، وطور سيناء بموسى، وحراء بمحمّد صلوات الله وسلامه عليه أجمعين. (القرطبي، 2010، الصفحات 40-41)

- جبل بعينه بالموصل، وقيل أيضا كلّ جبل يقال له جُودِيّ. (الحلبي، د ت، صفحة 334)

- اسم جبل بين العراق وأرمينيا، يقال له اليوم أَراراط، وحكمة إرسائها على الجبل أنّ جانب الجبل أمكن لاستقرار السَّفِينَةِ عند نزول الزّاكبين؛ لأنّها تخفّ عندما ينزل معظمهم، فإذا مالت استندت إلى جانب الجبل. (ابن عاشور، 1984، صفحة 7)

والملاحظ على هذه الأقوال أنّها لم تختلف في وقوع حادثة الطّوفان، ومكان إرساء سفينة نوح عليه السّلام، وإنّما كان الاختلاف منصبًا حول موقع جبل الجوديّ، وإن كانت هذه الاختلافات لم تخرج في حقيقة الأمر عن المكان الأصلي وهو جبل أَرارات، فأمد بتركيا وتسمّى حاليا ديار بكر، والموصل بالعراق والجزيرة التي تشمل مناطق شمال شرق سوريا وشمال غرب العراق وجنوب شرق تركيا، وأرمينيا الواقعة شرق تركيا، كلّها تقع في منطقة جغرافية تحتضن جبل أَرارات بمنطقة الأناضول شرق تركيا.

2.2.4. الرّوَاسِي

وردت كلمة " الرّوَاسِي " المرادفة لاسم الجبل في القرآن العظيم في صيغة الاسم تسع مرات (09)، ومن بين الآيات القرآنية التي تشير إلى ذلك، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْهَارًا﴾ [الرعد: 103]، إذ وجّه المفسّرون دلالة كلمة " الرّوَاسِي " على أنّها بمعنى الجبال الثّابتة، يقول الطّبري: «وقوله " وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي "، يقول جلّ ثناؤه، وجعل في الأرض جبالا ثابتة.»، (الطّبري، 1994، صفحة 403) وهو معنى يؤكّده الشّوكاني (ت 1250هـ) أيضا في تفسيره، يقول: «" وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي "، أي: جبالا ثوابت، واحدها راسية؛ لأنّ الأرض ترسو، أي تثبت، والإرساء الثّبوت». (الشّوكاني، 2007، الصفحات 719-720)

وكما وصفت الجبال بالنُّبوت، وصفت أيضا بالشَّموخ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا﴾ [المرسلات: 27]، قال البيضاوي: «وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ» جبالا ثابته طويلا، والتَّكْثِيرُ لِلتَّخْلِيمِ، أو الإِشْعَارُ بِأَنَّ فِيهَا مَا لَمْ يُعْرَفْ وَلَمْ يَرَ». (البيضاوي، 2000، صفحة 484)

3.2.4. السَّدَان

ورد لفظ السَّدَيْن في قول الحق تبارك وتعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ في توجيهات بعض المفسرين بمعنى الجبلين اللذين سدّ ذو القرنين ما بينهما، وقد وقع اختلاف كبير بينهم حول تحديد موضعهما، فقد قيل بأنهما:

- جبال بين أرمينيا وأذربيجان

- جبال من وراء بلاد التُّرك.

- جبال من جهة الشمال، لبنان، أملسان. (ابن عطية، 541 هـ، صفحة 1212) (الأندلسي، 1993، صفحة 153)

- الشمال الغربي لصحراء قوبي الفاصلة بين الصين وبلاد المغول شمال الصين وجنوب منغوليا. (ابن عاشور، 1984، صفحة 31)

وكما وقع اختلاف في تحديد موقع السَّدَيْن، وقع أيضا اختلاف حول قراءته، إذ قرئ بالفتح والضّم، ف قيل ما قرئ بالضّم عدّ اسما، وما قرئ بالفتح عدّ مصدرا، وقيل الفتح والضّم لغتان بمعنى واحد، وقيل ما كان من خلقه الله تعالى فهو مضموم، وما كان من البشر فهو مفتوح، وقيل ما يُرى بالعين فهو مضموم، وما لا يُرى فهو مفتوح. (ابن عطية، 541 هـ، صفحة 1212)

وقيل أيضا السَّد بضّم السّين وفتحها: الجبل، ويطلق أيضا على الجدار الفاصل؛ لأنّه يسدّ به الفضاء وقيل الضّم في الجبل والفتح في الحاجز. (ابن عاشور، 1984، صفحة 30)

4.2.4. الصَّعُودُ

ذهب المفسرون في توجيه كلمة " صعود " في قوله تعالى ﴿كَأَلَا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: 16-17] مذهبين؛ أولهما يرى أنّ صعودا يقصد به العقبة الشّاقة المصعد وهو مثل لما يلقاه الوليد بن المغيرة ومن تبعه من الكافرين من العذاب الشّاق الصّعد الذي لا يطاق، وثانيهما يرى أنّه يقصد به جبل في جهنّم يتصعد فيه أهل النَّار جزاء كفرهم وطعنهم في القرآن العظيم ونكرانهم أنّه وحي من الله عزّ وجلّ. (الرمخشري و جار الله، 2012، صفحة 490) (ابن عاشور، 1984، صفحة 307)

والملاحظ على المعنيين أنّهما يلتقيان في مفهومهما؛ فسواء قصد به العقبة الشاقة المصعد، أو قصد به جبل في جهنّم، فكلاهما يمثلان عذابا شديدا سيلحق بهؤلاء في الآخرة.

5.2.4. الصفا والمروة

رأى المفسرون أنّ الصفا والمروة في قوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 58]، هما اسمان لجبلين معروفين بمكة، ارتبطا بحادثة هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام، حين نفوذ الماء الذي تركه لهما إبراهيم عليه السلام، فكان سعيها بينهما سبع مرات، فشربت منهما وسقت ولدها، ومنذ ذلك الوقت تقرر السعي بينهما وأصبح شعيرة من شعائر الله، يقول القرطبي (ت 671 هـ) في تفسيره: « أصل الصفا في اللغة الحجر الأملس، وهو هنا جبل بمكة معروف، وكذلك المروة جبل أيضا، ولذلك أخرجهما بلفظ التعريف، وذكر الصفا؛ لأنّ آدم المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقف عليه فسمي به ووقفت حواء على المروة فسميت باسم المرأة، فأنت ذلك». (القرطبي، 2010، صفحة 579)

ويذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره سببا آخر للتسمية، فيقول: « الصفا والمروة اسمان لجبلين متقابلين فأما الصفا فهو رأس نهاية جبل أبي قبيس، وأما المروة فرأس هو منتهى جبل قعيقعان، وسمي الصفا لأنّ حجارته من الصفا وهو الحجر الأملس الصُّلب، وسميت المروة مروة؛ لأنّ حجارته من المرو، وهي الحجارة البيضاء اللينة التي توري النار، ويذبح بها؛ لأنّ شذرها يخرج قطعاً محدّدة الأطراف وهي تضرب بحجارة من الصفا فتتشقق وكأنّ الله تعالى لطف بأهل مكة فجعل لهم جبلا من المروة للارتفاع به في اقتداحهم وفي ذبائحهم، وجعل قبالة الصفا للارتفاع به في بنائهم، والصفا والمروة بقرب المسجد الحرام، وبينهما مسافة سبعمئة وسبعين ذراعا وطريق السعي بينهما يمرّ حذو جدار المسجد الحرام، والصفا قريب من باب يسمى باب الصفا من أبواب المسجد الحرام، ويصعد الساعي إلى الصفا والمروة بمثل المدرجة. (ابن عاشور، 1984، الصفحات 60-61)

ولا شك أنّ للصفا والمروة أهمية تاريخية ودينية في حياة المسلمين، فقد فرض على المسلمين السعي بينهما والوقوف عليهما تخلّيدا لذكرى وقوف آدم وحواء عليهما، كما جاء في بعض التفاسير، وتذكيرا بنعمة الله تعالى على هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام، كما ورد في معظم التفاسير، وبذلك فالسعي بينهما عدّ علامة من علامات عبادة الله سبحانه وتعالى.

6.2.4. الطُّودُ

وردت كلمة " الطّود " مرّة واحدة في القرآن العظيم وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشّعراء: 63]، والطّود في هذه الآية قصد به الجبل العظيم، وقد وصف بالعظيم مع أنّه يعني الجبل العظيم تأكيدا على عظمته بين الأطواد، لا لكونه عظيما بين سائر الجبال الأخرى. وقيل أيضا بأنّه الجبل العظيم المتطاوّل في السّماء (الحلي، د ت، صفحة 527) وقد ارتبط هذا الوصف بقصة موسى عليه السّلام مع فرعون، إذ ولما أمر عزّ وجلّ موسى أن يضرب بعصاه البحر انفلق وصار فيه اثنا عشر طريقا على عدد أسباط بني إسرائيل ووقف الماء بينهما كالتّود العظيم، أي الجبل العظيم، فصار بذلك لموسى وأصحابه طريقا في البحر يبسا، فلمّا خرج أصحاب موسى، وتكامل آخر أصحاب فرعون انصبّ عليهم وغرق فرعون. (القرطبي، 2010، صفحة 100)

7.2.4. الطّور

ذكر الطّور في القرآن العظيم في عشرة مواطن، وقد ذكر على ثلاثة أنماط، أولهما مفردا، وثانيهما مضافا إليه، وثالثهما مضافا، والطّور في اللّغة هو الامتداد في شيء من مكان أو زمان، من ذلك طَوَّار الدّار، وهو الذي يمتدّ معها من فنائها، ولذلك يقال: عدا طوره، أي: جاز الحدّ الذي هو له من داره، ثمّ استعير ذلك في كلّ شيء يُتعدّى، والطّور جبل، فيجوز أن يكون اسما علما موضوعا، ويجوز أن يكون سُمّي بذلك لما فيه من امتداد طولاً وعرضا. (ابن فارس، أ: 430-431)، ومن بين الآيات التي ورد فيها مفردا حاملا دلالة الجبل، قوله تعالى: ﴿وَالطُّورُ* وَكِتَابٍ مُّسْتُورٍ﴾ [الطور: 1-2]، حيث فسّر الطّور في هذا السّياق بأنّه الجبل الذي كلّّم الله عليه موسى عليه السّلام، وهو بمدين، وقد أقسم به سبحانه وتعالى تشريفا وتكريما له، باعتبار نزول كلامه فيه. (الزّمخشري و جار الله، 2012، صفحة 275) (ابن الجوزي، 2002، صفحة 1354) (الأندلسي، 1993، صفحة 143) (ابن عاشور، 1984، صفحة 37)

وعلى الرّغم من الاتفاق حول المفهوم المركزي لجبل الطّور، إلّا أنّ هذا لم يمنع من ورود أقوال متعدّدة حوله، فقد قيل بأنّ كلّ جبل طور (الطّبري، 1994، صفحة 127) (ابن عطية، 541 هـ، صفحة 1769) وقيل بأنّه اسم جبل مخصوص، وقيل هو جبل محيط بالأرض. وقيل بأنّه اسم جنس لا جبل معيّن، وفي الشّام جبل يسمّى الطّور وهو طور سيناء (ابن عطية، 541 هـ، الصفحات 1769-1770) (الأندلسي، 1993، صفحة 143) وقيل كلّ جبل أجرد لا يُنبِت شجرا، (ابن عطية، 541 هـ، صفحة 1769) وعلى عكس ذلك، فقد ارتبط اسمه بكلّ جبل ينبت فيه الشّجر، وما لم يكن فيه شجر لا يسمّى طورا، إنّما يقال له جبل في بعض الأقوال، (ابن الجوزي، 2002، صفحة 1354)، (الشّوكاني، 2007، صفحة 1411) وفي أقوال أخرى عدّ كلمة سريانية وليست

عربية وهو من الألفاظ المعربة الواقعة في القرآن، وهو قول مجاهد. (الشَّوْكَانِي، 2007، صفحة 1411) (ابن عاشور، 1984، صفحة 37) وهناك من عدَّ هذا القول ضعيفاً، بل عدَّ اللَّفْظ عربياً بدليل تواجده في العربية. (ابن عطية، 541 هـ، صفحة 1770)

8.2.4. عرفات

ورد اسم الجبل عرفات في موطن واحد من آيات الذِّكْرِ الحكيم، وذلك في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَذَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ [البقرة: 198]، فعرفات هو الجبل الذي يقع على الطريق الواقع بين مكة والطائف، وهو من أهم مناسك الحج وركن رئيس فيه، حيث يقف الحجاج عنده في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة بلباس واحد، يذكرن فيه الله عزَّ وجلَّ ويتضرعون إليه ليغفر لهم ذنوبهم ويعتقهم من النار، ويصلون فيه قصراً وجمعا صلاتي الظهر والعصر، ويطلق على هذا الجبل أيضاً تسميات أخرى، مثل جبل القرين، جبل النابت، جبل الآل. وقد اختلف علماء التفسير في سبب تسمية جبل عرفات بهذا الاسم، حيث وردت عدة أسباب لتسميته، وهي -أنَّ آدم وحواء حينما أنزلهما الله من الجنة إلى الأرض، أنزلهما في مكانين مختلفين، فكان موقع جبل عرفات هو المكان الذي التقيا فيه، وتعارفا على بعضهما فيه .

-وقيل سمي بذلك؛ لأنه وُصف لإبراهيم عليه السلام، فلما أبصره عرفه.

-وقيل إنَّ جبريل عليه السلام حين كان يدور بإبراهيم في المشاعر أراه إياه، فقال، قد عرفْتُ.

-وقيل إنَّ النَّاسَ يجتمعون في يوم عرفة على صعيد الجبل، ويتعارفون على بعضهم البعض، وعلى الله عزَّ وجلَّ بالعبادات والأدعية. (ابن عطية، 541 هـ، صفحة 17803) (الزَّمَخْشَرِي و جار الله، 2012، صفحة 230) (البيضاوي، 2000، صفحة 178) (الحلي، د ت، الصفحات 329-330)

وكما وقع اختلاف في سبب تسميته بعرفات، وقع أيضاً اختلاف في كونه اسماً مشتقاً أم مرتجلاً، حيث يرى بعض المفسرين بأنَّه اسم مرتجل، وهو كسائر أسماء البقاع، ولأنَّ العَرَفَةَ لا تعرف في أسماء الأجناس إلاَّ أن تكون جمع عارف. (الزَّمَخْشَرِي و جار الله، 2012، صفحة 230) (ابن عطية، 541 هـ، صفحة 1780) (البيضاوي، 2000، صفحة 178) في حين يرى بعضهم الآخر باحتمال كونه اسماً مشتقاً، فقد يكون مشتقاً من المعرفة، أو من العَرَف، وهو الرائحة الطيبة، وقيل من العُرْف، وهو الارتفاع، وعرفات جمع عرفة في الأصل ثم سمي به هذا الموضع، والمشهور أنَّ عرفات وعرفة واحد، وقيل عرفة اسم اليوم وعرفات اسم مكان. (الحلي، د ت، الصفحات 329-330)

5. خاتمة

- وصفوة القول في هذا البحث الذي لا أدعي أنني أحطت بكل جوانبه نظرا لاتساعه وتشعب مسائله ما يلي:
- تعامل القرآن العظيم مع الجبال تعاملًا خاصًا، حيث جعلها موطنًا لأحداث تاريخية، ارتبطت بقصص الأنبياء والرسل.
 - وظف القرآن الكريم الجبال بأنماط مختلفة، إذ وردت بأسمائها في موطن، أي بلفظ الجبل بصيغتي المفرد والجمع، وبأسماء مرادفة في موطن أخرى، كما عوملت معاملة العاقل في موطن وغير العاقل في موطن أخرى.
 - وظفت الجبال في القرآن الكريم بتسمية مباشرة مفيدة دلالات متعددة، منها: التسييح، الخشوع، الذك، النسف، الحركة، السير، الشموخ وغيرها.
 - أشير في القرآن العظيم إلى فوائد عظيمة للجبال، إذ ترجع بالفائدة والنفع على الإنسان والحيوان على حد سواء، فقد عدت بيوتا للسكن والزراعة والاحتواء من عوارض الطبيعة القاسية، كما عدت بيوتا للسكن والاستقرار.
 - من المعجزات الإلهية ذكر لون الجبال في القرآن الكريم كما ذهب إلى ذلك المفسرون وأهل العلم على الرغم من عدم ملامسة ذلك في أرض الواقع، فهي مختلفة في بياضها وفي حمرتها وهي شديدة السواد أيضا.
 - لم يذكر القرآن الكريم مكان هذه الجبال؛ لأن العبرة ليست في المكان، وإنما في الأحداث التي ارتبطت بها.
 - لم يذكر القرآن العظيم الجبال في كل آياته بصورة مباشرة، وإنما استعمل أسماء أخرى مرادفة لها أفادت دلالتها، منها: الجودي، السدان، الطود، الطور، الصعود، الصفا والمروة، عرفات وغيرها من الأسماء الأخرى.
 - ارتبطت أسماء الجبال المرادفة لها بأحداث تاريخية، فجبل الجودي ارتبط بحادثة إرساء سفينة نوح عليه السلام بعد زوال الطوفان، والطود ارتبط بقصة موسى عليه السلام مع فرعون، والطور ارتبط بالجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام والصفا والمروة ارتبطا بحادثة هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام وغير ذلك.
 - ارتبطت دلالة أسماء الجبال المرادفة لها بمعانيها المعجمية.
 - اختلفت مواقع بعض الجبال باختلاف آراء علماء اللغة والمفسرين وعلماء الجغرافيا.

انطلق علماء الجغرافيا والجيولوجيا في تحديد مواقع الجبال المذكورة في القرآن العظيم ممّا ورد في كتب علم التفسير.

6. قائمة المراجع

1. الأسمر راجي. (1997). المعجم المفصل في علم الصّرف. بيروت، لبنان: دار الكتب العلميّة.
2. الأندلسي، أنير الدّين أبو عبد الله محمد (1993). البحر المحيط. بيروت، لبنان: دار الكتب العلميّة.
3. البيضاوي، ناصر الدّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد (2000). أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل المسمّى تفسير البيضاوي. دمشق، بيروت: دار الرّشيد.
4. ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدّين عبد الرّحمن بن علي. (2002). زاد المسير في علم التفسير (الإصدار 3). بيروت، لبنان: دار ابن حزم.
5. الحديثي، خديجة. (1965). أبنية الصّرف في كتاب سيبويه (الإصدار 1). بغداد: منشورات مكتبة النهضة.
6. حسن عبّاس. (د ت). النّحو الوافي (الإصدار 3). مصر: دار المعارف.
7. الحلبي، أحمد بن يوسف السّمين (د ت). الدرّ المصنوّ في علوم الكتاب المكنون. دمشق: دار القلم.
8. الرّجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السّري. (1988). معاني القرآن وإعرابه (الإصدار 1). بيروت، لبنان: عالم الكتب.
9. الرّمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر جار الله. (2012). الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون التّأويل في وجوه التّأويل. القاهرة: دار الحديث.
10. السّامرائي، فاضل صالح. (1432هـ - 2011 م). أسئلة بيانيّة في القرآن الكريم (الإصدار 1). دمشق، بيروت: دار ابن كثير.
11. شرف، عبد العزيز طريح. (د ت). الجغرافيا الطّبيعية، أشكال سطح الأرض. الإسكندرية: مؤسّسة الثّقافة الجامعيّة.
12. الشّوكّاني، محمّد بن علي بن محمّد. (2007). فَنَحْ القَدِيرِ الجَامِعِ بَيْنَ فَنَي الرّوَايَةِ والدّرَايَةِ من علم التفسير (الإصدار 4). بيروت، لبنان: دار المعرفة.
13. الصّوفي، ماهر أحمد. (2007). الموسوعة الكونيّة الكبيرين (الإصدار 1، المجلد 9). صيدا، بيروت، لبنان: المكتبة العربيّة.
14. الطّبري، محمّد بن جرير. (1994). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (الإصدار 1). بيروت، لبنان: مؤسّسة الرّسالة.
15. ابن عاشور، محمّد الطّاهر. (1984). تفسير التّحرير والتّوير. تونس: دار سحنون للنّشر والتّوزيع.

16. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق. (541 هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت، لبنان: دار ابن حزم.
17. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. (2010). الجامع لأحكام القرآن. القاهرة، مصر: دار الحديث.
18. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. (1999). تفسير القرآن العظيم (الإصدار 2). الرياض، المملكة العربية السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع.
19. ابن مجاهد. (1972). كتاب السبعة في القراءات. مصر: دار المعارف.
20. مسلم، مصطفى. (1996). مباحث في إعجاز القرآن (الإصدار 2). الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع.
21. المصلح، عبد الله بن عبد العزيز، و الصاوي، عبد الجواد. (2008). الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (الإصدار 1). جدة، السعودية: دار جياذ للنشر والتوزيع.
22. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (1981). (ت711هـ): لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.